

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع

وقت الفجر و الظهر .

و منها الوقت لأن الوقت كما هو سبب لوجوب الصلاة فهو شرط لأدائها قال الله تعالى : { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً } أي فرضاً مؤقتاً حتى لا يجوز أداء الفرض قبل وقته إلا صلاة العصر يوم عرفة على ما يذكر و الكلام فيه يقع في ثلات مواضع في بيان أصل أوقات الصلوات المفروضة و في بيان حدودها بأوائلها و أواخرها و في بيان الأوقات المستحبة منها و في بيان الوقت المكره لبعض الصلوات المفروضة .

أما الأول : فما أوقاتها عرف بالكتاب و هو قوله تعالى { فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون } و قوله تعالى : { أقم الصلاة طرفي النهار و زلفاً من الليل } و قوله تعالى : { أقم الصلاة لدلك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً } و قوله تعالى : { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار } فهذه الآيات تشتمل على بيان فرضية هذه الصلوات و بيان أصل أوقاتها لما بينا فيما تقدم و الله أعلم .

و أما بيان حدودها بأوائلها و أواخرها فإنما عرف بالأخبار أما الفجر فأول وقت صلاة الفجر حين يطلع الفجر الثاني و آخره حين تطلع الشمس لما روى [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن للصلاة أولاً و آخراً و أن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر و آخره حين تطلع الشمس] و التقييد بالفجر الثاني لأن الفجر فجران الفجر الأول : هو البياض المستطيل يبدو في ناحية من السماء و هو المسمى بذنب السرحان عند العرب ثم ينكتم و لهذا يسمى فجراً كاذباً لأنه يبدو نوره ثم يخلفه بعقبه الظلام و هذا الفجر لا يحرم به الطعام و الشراب على الصائمين و لا يخرج به وقت العشاء و لا يدخل به وقت صلاة الفجر .

و الفجر الثاني : و هو المستطير المعترض في الأفق لا يزال يزداد نوره حتى تطلع الشمس يسمى هذا فجراً صادقاً لأنه إذا بدا نوره ينتشر في الأفق و لا يخلفه و هذا الفجر يحرم به الطعام و الشراب على الصائم و يخرج به وقت العشاء و يدخل به وقت صلاة الفجر و هكذا روى [عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الفجر فجران فجر مستطيل يحل به الطعام و تحريم فيه الصلاة و فجر مستطير يحرم به الطعام و تحل فيه الصلاة] و به تبين أن المراد من الفجر المذكور في حديث أبي هريرة رضي الله عنه هو الفجر الثاني لا الأول . و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [لا يغرنكم أذان بلال و لا الفجر المستطيل

لـكـنـ الـفـجـرـ الـمـسـطـيـرـ فـيـ اـلـأـفـقـ [ـ .ـ

و روـيـ :ـ [ـ لـاـ يـغـرـنـكـ الـفـجـرـ الـمـسـطـيـرـ وـ لـكـ كـلـواـ وـ اـشـرـبـواـ حـتـىـ يـطـلـعـ الـفـجـرـ الـمـسـطـيـرـ]ـ أـيـ المـنـتـشـرـ فـيـ الـأـفـقـ وـ قـالـ :ـ [ـ الـفـجـرـ هـكـذـاـ وـ مـدـ يـدـهـ عـرـضـاـ لـاـ هـكـذـاـ وـ مـدـ يـدـهـ طـوـلاـ]ـ وـ لـأـنـ
الـمـسـطـيـرـ لـيـلـ فـيـ الـحـقـيقـةـ لـتـعـقـبـ الـظـلـامـ إـيـاهـ .ـ

و روـيـ [ـ عـنـ عـبـدـ اـمـ بـنـ عـمـرـ وـ هـمـاـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اـمـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ قـالـ :ـ وـقـتـ الـفـجـرـ مـاـ لـمـ
تـطـلـعـ الـشـمـسـ .ـ

و روـيـ عـنـ عـنـهـ صـلـىـ اـمـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ أـنـهـ قـالـ :ـ مـنـ أـدـرـكـ رـكـعـةـ مـنـ الـفـجـرـ قـبـلـ أـنـ تـطـلـعـ الـشـمـسـ فـقـدـ
أـدـرـكـهـاـ]ـ فـدـلـ الـحـدـيـثـانـ .ـ

أـيـضاـ عـلـىـ أـنـ آـخـرـ وـقـتـ الـفـجـرـ حـيـنـ تـطـلـعـ الـشـمـسـ .ـ

وـ أـمـاـ أـوـلـ وـقـتـ الـظـهـرـ فـحـيـنـ تـزـولـ الـشـمـسـ بـلـ خـلـافـ لـمـاـ روـيـ [ـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ وـهـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ
اـمـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ أـنـهـ قـالـ :ـ أـوـلـىـ وـقـتـ الـظـهـرـ حـيـنـ تـزـولـ الـشـمـسـ]ـ وـ أـمـاـ آـخـرـهـ فـلـمـ يـذـكـرـ فـيـ طـاـهـرـ
الـرـوـاـيـةـ نـصـاـ .ـ

وـ اـخـتـلـفـ الـرـوـاـيـةـ عـنـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ روـيـ مـحـمـدـ عـنـهـ إـذـاـ صـارـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـهـ سـوـىـ فـيـ الزـوـالـ وـ
الـمـذـكـورـ فـيـ الـأـصـلـ وـ لـاـ يـدـخـلـ وـقـتـ الـعـصـرـ حـتـىـ يـصـيرـ الـظـلـ قـاـمـتـيـنـ وـلـمـ يـتـعـرـضـ لـآـخـرـ وـقـتـ الـظـهـرـ وـ
روـيـ الـحـسـنـ عـنـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ :ـ أـنـ آـخـرـ وـقـتـهاـ إـذـاـ صـارـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـهـ سـوـىـ فـيـ الزـوـالـ وـهـ
قـوـلـ أـبـيـ يـوـسـفـ وـ مـحـمـدـ وـ زـفـرـ وـ الـحـسـنـ وـ الشـافـعـيـ وـ روـيـ أـسـدـ بـنـ عـمـرـوـ عـنـهـ :ـ إـذـاـ صـارـ ظـلـ كـلـ
شـيـءـ مـثـلـهـ سـوـىـ فـيـ الزـوـالـ خـرـجـ وـقـتـ الـظـهـرـ وـ لـاـ يـدـخـلـ وـقـتـ الـعـصـرـ مـاـ لـمـ يـصـرـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـهـ

فـعـلـىـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ يـكـونـ بـيـنـ وـقـتـ الـظـهـرـ وـ الـعـصـرـ وـقـتـ مـهـمـلـ كـمـاـ بـيـنـ الـفـجـرـ وـ الـظـهـرـ وـ
الـصـحـيـحـ روـيـ مـحـمـدـ عـنـهـ فـإـنـهـ روـيـ فـيـ خـبـرـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ [ـ وـ آـخـرـ وـقـتـ الـظـهـرـ حـيـنـ يـدـخـلـ وـقـتـ
الـعـصـرـ]ـ وـ هـذـاـ يـنـفـيـ الـوـقـتـ الـمـهـمـلـ ثـمـ لـاـ بـدـ مـنـ مـعـرـفـةـ زـوـالـ الـشـمـسـ روـيـ عـنـ مـحـمـدـ أـنـهـ قـالـ :ـ
حـدـ الزـوـالـ أـنـ يـقـومـ الرـجـلـ مـسـتـقـبـلـ الـقـبـلـةـ فـإـذـاـ مـاـلـتـ الـشـمـسـ عـنـ يـسـارـهـ فـهـوـ الزـوـالـ وـ أـصـحـ ماـ
قـيـلـ فـيـ مـعـرـفـةـ الزـوـالـ قـوـلـ مـحـمـدـ بـنـ شـجـاعـ الـبـلـحـيـ أـنـهـ يـغـرـزـ عـوـدـاـ مـسـتـوـيـاـ فـيـ أـرـضـ مـسـتـوـيـةـ وـ
يـجـعـلـ عـلـىـ مـبـلـغـ الـظـلـ مـنـهـ عـلـامـةـ فـمـاـ دـامـ الـظـلـ يـنـتـقـصـ مـنـ الـخـطـ فـهـوـ قـبـلـ الزـوـالـ فـإـذـاـ وـقـفـ لـاـ
يـزـدـادـ وـ لـاـ يـنـتـقـصـ فـهـوـ وـقـتـ الزـوـالـ وـ إـذـاـ أـخـذـ الـظـلـ فـيـ الـزـيـادـةـ فـالـشـمـسـ قـدـ زـالـتـ .ـ

وـ إـذـ أـرـدـتـ مـعـرـفـةـ فـيـ الزـوـالـ فـخـطـ عـلـىـ رـأـسـ مـوـضـعـ الـزـيـادـةـ خـطاـ فـيـكـوـنـ مـنـ رـأـسـ الـخـطـ إـلـىـ
الـعـودـ فـيـ الزـوـالـ فـإـذـاـ صـارـ ظـلـ الـعـودـ مـثـلـيـهـ مـنـ رـأـسـ الـخـطـ لـاـ مـنـ رـأـسـ الـخـطـ خـرـجـ وـقـتـ الـظـهـرـ وـ دـخـلـ وـقـتـ
وـقـتـ الـعـصـرـ عـنـدـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ وـ إـذـاـ صـارـ ظـلـ الـعـودـ مـثـلـيـهـ مـنـ رـأـسـ الـخـطـ خـرـجـ وـقـتـ الـظـهـرـ وـ دـخـلـ وـقـتـ
الـعـصـرـ عـنـدـهـمـ .ـ

وـجـهـ قـوـلـهـمـ :ـ حـدـيـثـ إـمـامـةـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـإـنـهـ روـيـ عـنـ رـسـوـلـ اـمـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ أـنـهـ

قال : [أمني جبريل عند .

البيت مرتين فصلى بي الظهر في اليوم الأول حين زالت الشمس و صلى بي العصر حين صار ظل كل شيء .

مثله و صلى بي المغرب حين غربت الشمس و صلى بي العشاء حين غاب الشفق و صلى بي الفجر حين طلع الفجر الثاني و صلى بي الظهر في اليوم الثاني حين صار ظل كل شيء مثله و صلى بي العصر في اليوم الثاني حين صار ظل كل شيء مثليه و صلى بي المغرب في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى بي في اليوم الأول و صلى بي العشاء في اليوم الثاني حين مضى ثلث الليل و صلى بي الفجر في اليوم الثاني حين أسفـر النهـار ثم قال الوقت ما بين الـوقـتين [. فـلاـسـتـدـلـالـ بـالـحـدـيـثـ مـنـ وجـهـيـنـ : .

أـحـدـهـماـ :ـ أـنـهـ صـلـىـ العـصـرـ فـيـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ حـيـنـ صـارـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـهـ فـدـلـ أـنـ أـوـلـ وـقـتـ العـصـرـ هـذـاـ فـكـانـ هـوـ آـخـرـ وـقـتـ الـظـهـرـ ضـرـورـةـ .

وـ الـثـانـيـ ؟ـ أـنـ الإـمـامـةـ فـيـ الـيـوـمـ الـثـانـيـ كـانـتـ لـبـيـانـ آـخـرـ الـوـقـتـ وـلـمـ يـؤـخـرـ الـظـهـرـ فـيـ الـيـوـمـ الـثـانـيـ إـلـىـ أـنـ يـصـبـرـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـيهـ فـدـلـ أـنـ آـخـرـ وـقـتـ الـظـهـرـ مـاـ ذـكـرـنـاـ .

وـ لـأـبـيـ حـنـيـفـةـ مـاـ روـيـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ إـلـيـهـ وـ سـلـمـ أـنـهـ قـالـ :ـ [ـ إـنـ مـثـلـكـمـ وـ مـثـلـ مـنـ قـبـلـكـمـ مـنـ الـأـمـمـ مـثـلـ رـجـلـ اـسـتـأـجـرـ أـجـيـراـ فـقـالـ :ـ مـنـ يـعـمـلـ لـيـ مـنـ الـفـجـرـ إـلـىـ الـفـهـرـ بـقـيـرـاطـ فـعـمـلـتـ الـيـهـودـ ثـمـ قـالـ :ـ مـنـ يـعـمـلـ لـيـ مـنـ الـظـهـرـ إـلـىـ الـعـصـرـ بـقـيـرـاطـ فـعـمـلـتـ النـصـارـىـ ثـمـ قـالـ :ـ مـنـ يـعـمـلـ لـيـ مـنـ الـمـغـرـبـ بـقـيـرـاطـيـنـ فـعـمـلـتـ أـنـتـمـ فـكـنـتـمـ أـقـلـ عـمـلاـ وـ أـكـثـرـ أـجـراـ]ـ فـدـلـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ أـنـ مـدـةـ الـعـصـرـ أـقـصـرـ مـنـ مـدـةـ الـظـهـرـ وـ إـنـمـاـ يـكـونـ أـقـصـرـ أـنـ لـوـ كـانـ الـأـمـرـ عـلـىـ مـاـ قـالـهـ أـبـوـ حـنـيـفـةـ .

وـ روـيـ [ـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ إـلـيـهـ وـ سـلـمـ أـنـهـ قـالـ :ـ أـبـرـدـواـ بـالـظـهـرـ إـلـىـ شـدـةـ الـحرـ مـنـ فـيـحـ جـهـنـمـ]ـ وـ الـإـبـرـادـ يـحـصـلـ بـصـيـرـورـةـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـيهـ إـلـىـ الـحرـ لـاـ يـفـتـرـ خـصـوصـاـ فـيـ بـلـادـهـ . عـلـىـ أـنـ عـنـدـ تـعـارـضـ الـأـدـلـةـ لـاـ يـمـكـنـ إـثـبـاتـ وـقـتـ الـعـصـرـ لـأـنـ مـوـضـعـ التـعـارـضـ مـوـضـعـ الشـكـ وـ غـيـرـ الشـابـتـ لـاـ يـثـبـتـ بـالـشـكـ .

فـإـنـ قـيـلـ :ـ لـاـ يـبـقـيـ وـقـتـ الـظـهـرـ بـالـشـكـ أـيـضاـ فـالـجـوابـ أـنـهـ كـذـلـكـ يـقـولـ أـبـوـ حـنـيـفـةـ فـيـ رـوـاـيـةـ أـسـدـ بـنـ عـمـروـ أـخـذـاـ بـالـمـتـيقـنـ فـيـهـماـ .

وـ الـثـانـيـ :ـ أـنـ مـاـ ثـبـتـ لـاـ يـبـطـلـ بـالـشـكـ وـ غـيـرـ الشـابـتـ لـاـ يـثـبـتـ بـالـشـكـ وـ خـبـرـ إـمـامـةـ جـبـرـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـسـوـخـ فـيـ الـمـتـنـازـعـ فـيـهـ فـاـنـ المـرـوـيـ أـنـهـ صـلـىـ الـظـهـرـ فـيـ الـيـوـمـ الـثـانـيـ فـيـ الـوـقـتـ الـذـيـ صـلـىـ فـيـهـ الـعـصـرـ فـيـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ وـ الـإـجـمـاعـ مـنـعـقـدـ عـلـىـ تـغـيـرـ وـقـتـيـ الـظـهـرـ وـ الـعـصـرـ فـكـانـ الـحـدـيـثـ مـنـسـوـخـاـ فـيـ الـفـرعـ وـ لـاـ يـقـالـ مـعـنـىـ مـاـ وـرـدـ أـنـهـ صـلـىـ الـعـصـرـ فـيـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ حـيـنـ صـارـ ظـلـ كـلـ شـيـءـ مـثـلـهـ أـيـ بـعـدـ مـاـ صـارـ وـ مـعـنـىـ مـاـ وـرـدـ أـنـهـ .

صلى الظهر في اليوم الثاني حين صار ظل كل شيء مثليه أي قرب من ذلك فلا يكون منسوباً لأننا نقول هذا .

نسبة للنبي صلى الله عليه وسلم إلى الغفلة و عدم التمييز بين الوقتين أو إلى التساهل في أمر تبليغ الشرائع و التسوية بين أمرين مختلفين و ترك ذلك مبهماً من غير بيان منه أو دليل يمكن الوصول به إلى الافتراق بين الأمرين و مثله لا يظن .

بالنبي صلى الله عليه وسلم